المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تحليل سياسات

هل تنساق الولايات المتحدة الأميركية إلى حرب برية جديدة في الشرق الأوسط؟

أسامة أبو ارشيد| أكتوبر 2014

هل تنساق الولايات المتحدة الأميركية إلى حرب برية جديدة في الشرق الأوسط؟

سلسلة: تحليل سياسات

أسامة أبو ارشيد| أكتوبر 2014

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2014

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات
شارع رقم: 826 – منطقة 66
الدفنة
ص. ب: 10277
الدّوحة، قطر
هاتف: 44199777 974+ | فاكس: 44831651 974+
www.dohainstitute.org

المحتويات

مقدمة	1
رئيس سلام أم حرب؟	2
مفاجأة داعش في العراق	4
إستراتيجية حرب ملتبسة	6
تدخل قوات برية بين خيار النفي والإمكان والحتمية	9
انتكاسات متوقعة	11
تباين بين المؤسستين السياسية والعسكرية	13
"أباتشي".. خطوة في اتجاه نشر قوات برية؟	15
خاتمة	16

مقدمة

وجدت إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما نفسها، بعد كثير من التردد والمماطلة، متورطةً في حرب جديدة مفتوحة في الشرق الأوسط ضدّ "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش). ولا تقتصر ساحة الحرب مع هذا التنظيم على العراق فحسب، بل إنها توسعت لتشمل سورية أيضًا.

المفارقة في هذا السياق أنّ باراك أوباما كثيرًا ما جادل، عبْر ما يوصف بـ "مبدأ أوباما" في السياسة الخارجية، بأنّ الولايات المتحدة الأميركية ليست مضطرةً إلى الدخول في حروب استنزاف جديدة مباشرة في العالمين العربي والإسلامي، وبأنها قادرة على مواجهة كثير من التحديات من خلال دعْم حلفائها على الأرض بالسلاح والتدريب، كما كانت الحال في العراق قبل انهيار الجيش العراقي في الموصل في شهر حزيران/ يونيو الماضي، وهو ما عُدَّ ضربةً موجعةً لذلك المرتكز في مقاربته للسياسة الخارجية.

إدارة أوباما تجادل بأنّ هذه الحرب الجديدة لا تعني حربًا بالمعنى التقليدي، كما كانت الحال في أفغانستان والعراق، أثناء إدارة الرئيس السابق جورج بوش، بقدر ما تدخُل في إطار "الحرب على الإرهاب". كما أنها تشدّد على أنّ الدور العسكري الأميركي سيبقى مقتصرًا، إضافةً إلى التدريب والتوجيه والتسليح، على غارات جوية منظمة مكثفة ومتواصلة، ضدّ مواقع داعش في كلٍّ من العراق وسورية؛ وذلك بهدف إفساح المجال أمام القوات العراقية والكردية، فضلًا عن قوات "المعارضة السورية المعتدلة"، لإحراز تقدُّم ضدّها على الأرض، وهزيمتها كليًّا لاحقًا.

ظلّت هذه الإدارة أيضًا وفيةً على الأقل، إلى حدّ الآن، لأحد مرتكزات سياستها الخارجية، المتمثّلة بأنها ستتجنب قدر الإمكان المغامرات العسكرية المنفردة، إلا إذا استدعت مصالح الولايات المتحدة وأمنها ذلك مباشرةً، واجتهدت من أجل ذلك في تشكيل تحالف دولي واسع، يضم دولًا عربيةً سنّيةً؛ لتكون شريكةً معها في هذا الصراع، حتى لا يُقال إنّ هذه الحرب حرب أميركية جديدة على العالمين العربي والإسلامي.

النقطة المركزية لإستراتيجية إدارة أوباما، في سياق محاولاتها إبرازَ تميُّزها من إستراتيجية إدارة بوش السابقة، هي أنّ الولايات المتحدة لن تتورط أبدًا في إرسال قوات برّية إلى كلٍّ من العراق وسورية، وأنّ دورها سيقتصر،

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، على تقديم الدعم والإسناد الجوّي والتسليحي والتدريبي. في حين تقوم قوات عراقية وسورية بخوض المعارك البرِّية. غير أنّ تأكيدات أوباما وإدارته تلك أصبحت محلّ تشكيك كبير، سواء من خصومه السياسيين، أو حتى من قادته العسكريين الذين يؤكِّدون أنّ تحقيق نَصْر حاسم ضدّ داعش لن يتمّ من دون قوات برِّية، خصوصًا في ظلّ التقدم الذي مازال يحرزه داعش على جبهات القتال المختلفة في كلا البلدين على حساب قوات الحكومة العراقية (في إقليم الأنبار على نحوٍ خاصّ)، والأكراد السوريين (في عين العرب "كوباني" على الحدود التركية)، وذلك على الرغم من غارات الولايات المتحدة وحلفائها، على مواقع داعش لإضعافه ونقْل زمام المبادرة إلى خصومه من الحلفاء الأميركيين.

تُفضي المقاربة المسْحية الكلية السابقة إلى التساؤل: هل كان لإدارة أوباما أن تظلّ قادرةً فعلًا على تجنُّب تورط عسكري أميركي برِّي في معركتها ضدّ داعش في كلٍّ من العراق وسورية؟

هذا هو الأمر الذي ستحاول هذه الورقة الإجابة عنه. ولكن نشير قبل ذلك، باختصار، إلى خلفية تردُّد أوباما في استخدام القوة العسكرية الأميركية البرِّية في صراعات المنطقة، مرورًا بالملامح العامة لإستراتيجيته المعلنة في حربه على داعش.

رئيس سلام أم حرب؟

المتتبع لسلوك الرئيس أوباما وطريقة تفكيره منذ تولِّيه مقاليد الحكم مطلع عام 2009، يدرك أنّ هذا الرئيس تعهَّد بأنه سيُنهي نحو عقْد من الحروب تورطت فيها الولايات المتحدة في العالمين العربي والإسلامي، واستنزفتها معنويًّا وماديًّا. وكان وعده المركزي في الانتخابات الرئاسية عام 2008 أنه سينجز انسحاب القوات الأميركية من العراق، وهو الأمر الذي حصل فعلًا أواخر عام 2011، وبعد ذلك من أفغانستان، والذي من المفترض أن يتمّ في أواخر عام 2016، أي مع نهاية فترته الرئاسية الثانية والأخيرة. ولذلك، فإنّ أوباما حاول دائمًا أن يعطيَ انطباعًا عن نفسه بأنه ليس رئيس حرب.

غير أنّ هذا لم يَعْنِ أنّ أوباما رئيس سلام أيضًا؛ فمن الواضح أنه يَعُدّ أنّ تعريف الحرب التقليدي يعني حربًا برِّيةً فقط. أمّا القصف بالصواريخ والطائرات من دون طيار والقيام بعمليات خاصة ضدّ ما تصفه

واشنطن بالإرهاب، فلا يعدُّهما صراعات تدخُل في التكييف القانوني للحرب. ويكفي أن نشير في هذا السياق إلى أنّ الولايات المتحدة أثناء إدارته تورطت في سبعة صراعات وحروب في العالمين العربي والإسلامي، وذلك في أفغانستان، وباكستان، واليمن، والصومال، وليبيا، والعراق، وسورية[1]، مقارنةً بأربع حروب أثناء رئاسة بوش؛ وهي أفغانستان، والعراق، وباكستان، والصومال[2]، وعملية قصفٍ واحدةٍ بطائرة من دون طيار في اليمن عام 2002[3]. يُضاف إلى ذلك أنّ حرب بوش في حالتي باكستان والصومال، لم تكن برِّيةً أيضًا، بقدر ما كانت عمليات قصفٍ بطائرات من دون طيار.

وممّا ضاعف من تورط إدارة أوباما في مستنقعات الصراعات في المنطقة أنّ رياح الشرق الأوسط لم تجرِ كما تشتهي سُفنها. فبدءًا من ثورات "الربيع العربي"، مرورًا بإجهاض معظمها، ووصولًا إلى حالة الفوضى التي تعمُّ المنطقة والفراغ الذي ترتب عليها وسمح لتنظيمات تعدُّها واشنطن إرهابية بمَلْئِه، وجد أوباما إدارته تنزلق نحو التورط في المنطقة أكثر فأكثر؛ من ذلك، مثلًا، تدخُّله عبْر سلاح الجوّ الأميركي ضمن حِلفٍ غربي وعربي، فضلًا عن استخدام الصواريخ في ثورة ليبيا وَضَرب قوات معمر القذافي، بدءًا من آذار/ مارس 2011، ثمّ إنّ عمليات القصف التي تشنُّها طائرات أميركية من دون طيار في كلٍّ من باكستان، واليمن، والصومال، مستهدفةً تنظيمي القاعدة وطالبان وتفريعاتهما مازالت جاريةً حتى الآن.

غير أنّ تلك العمليات كلّها لم تتضمَّن إرسال قوات برِّية أميركية – وهي عقدة أوباما المركزية – بقدر ما ركّزت على سلاح الخيارات القائمة المتمثِّل بتوظيف التفوق الأميركي العسكري الجوّي، وهو ما يُقلِّل التكلفتين المادية والبشرية. بل إنّ أوباما لجأ في عملية اغتيال زعيم القاعدة أسامة بن لادن، في باكستان، في أيار/ مايو 2011، إلى عملية سريعة وخاطفة قامت بها قوّة خاصة أنهت مهمتها خلال ساعات، وركّز في حديثه

---

[1] Peter Bergen, "America's wartime president", *CNN*, 29/ 9/ 2014, at: http://www.cnn.com/2014/09/23/opinion/bergen-obama-wartime-president

[2] Lauren Carroll, "LZ Granderson: Obama has bombed twice as many Muslim countries as Bush", *Tampa Bay Times*, 28/ 10/ 2014, at: http://www.politifact.com/punditfact/statements/2014/sep/28/lz-granderson/lz-granderson-obama-has-bombed-twice-many-muslim-c

[3] "Drone Wars Yemen: Analysis", *New America Foundation*, at: http://natsec.newamerica.net/drones/yemen/analysis

دائمًا على الدور العسكري الأميركي، وعلى أنه سيبقى محصورًا في ظلّ إدارته في نوعين من السلاح؛ هما هجمات بطائرات من دون طيار وعمليات خاصة – إن استدعت الحاجة إليهما – مع تدريب قوات حليفة وتسليحها لمواجهة ما تعدُّه واشنطن تنظيمات إرهابيةً، فضلًا عن تقديم المشورة، على أن يكون ذلك عبْر تحالفات دولية وإقليمية، وهو ما يُعرف باسم "مبدأ أوباما"[4].

وهكذا، بقيَ أوباما مترددًا في اللجوء إلى القوة العسكرية البرِّية الأميركية، آخذًا في الحسبان أنّ المواطن الأميركي سئم الحروب المستمرة ذات التكلفة الباهظة جدًّا التي تجاوزت عقدًا من الزمان من ناحية، ومستندًا إلى اقتناعٍ راسخٍ مُفاده أنّ المبالغة في الاعتماد على القوة العسكرية يعني استنزافًا لقوة أيّ دولة على المدى البعيد من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي كان أشار إليه بوضوح في خطابين بأكاديمية ويست بوينت العسكرية في نيويورك عامي 2009 و2010[5].

مفاجأة داعش في العراق

شملت المفاجأة التي فجَّرها داعش، في حزيران/ يونيو الماضي، المتمثّلة بالسيطرة على مساحات شاسعة في شمال العراق وغربه، مُدنًا وبلدات كبيرةً مثل الموصل، ثمّ شملت زحفَها نحو كردستان العراق. هذه المفاجأة هزَّت "مبدأ أوباما" هزةً عنيفةً؛ فوحدات الجيش العراقي التي تُعَدّ بعشرات الآلاف، ذات التدريب

[4] "Remarks by the President at the United States Military Academy Commencement Ceremony", The White House, Office of the Press Secretary, 28/ 5/ 2014, at: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2014/05/28/remarks-president-united-states-military-academy-commencement-ceremony

[5] "Remarks by the President in Address to the Nation on the Way Forward in Afghanistan and Pakistan", The White House, Office of the Press Secretary, 1/ 12/ 2009, at: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/remarks-president-address-nation-way-forward-afghanistan-and-pakistan; "Remarks by the President at United States Military Academy at West Point Commencement", The White House, Office of the Press Secretary, 22/ 5/ 2010, at: http://www.hitehouse.gov/the-press-office/remarks-president-united-states-military-academy-west-point-commencement

والتسليح الأميركيَّيْن، فرَّت هاربةً من الموصل وما جاورها، تاركةً سلاحها الأميركي غنيمةً لداعش. ولم تلبث قوات البشمركة الكردية أن بدأت هي الأخرى بالتقهقر أمام تقدُّم داعش، لولا تدخُّل الطيران الحربي الأميركي.

ألقت الإدارة الأميركية في ذلك الوقت بالمسؤولية على رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي؛ ذلك أنها أرجعت أسباب انهيار الأوضاع إلى سياساته الطائفية والإقصائية، خصوصًا في حقّ السنَّة العرب والأكراد. واضطر المالكي إلى تقديم استقالته في آب/ أغسطس 2014؛ بسبب الضغوط الأميركية التي رهَنَت أيّ تدخُّل عسكري أميركي للتصدي لداعش باستقالة المالكي وتشكيل حكومة وحدة وفاق وطني. وحلّ محلَّ المالكي حيدر العبادي، وهو سياسي شيعي من حزب الدعوة الذي ينتمي إليه المالكي نفسه، ولكنه جاء بوعود لتشكيل حكومة وفاق وطني. ومن ثمَّة بدأت الطائرات الحربية الأميركية باستهداف داعش.

وعلى الرغم من أنّ الضربات الجوية الأميركية استطاعت أن تحُدَّ من تقدُّم قوات داعش على الأرض، وأفقدتها كثيرًا من عنصر المبادرة، فإنها لم تكن معنيَّةً بالقضاء عليها وهزيمتها كليًّا، وبدا أنّ أوباما مرتاح إلى هذه المقاربة لتجنب تورط عسكري أميركي برِّي جديد، وهو الأمر الذي ساهم أصلًا في وصوله إلى الرئاسة.

نجم عن تعزيز داعش نفوذَه على جانبي الحدود السورية – العراقية وتوحيدهما، والسيطرة عليهما، ثمّ قيامه بإعدام صحافيين وعمال إغاثة أميركيين وغربيين، خضوعُ أوباما لضغوط أميركية غير مسبوقة، سياسيًّا ثمّ شعبيًّا. فقد تحوَّل الرأي العامّ الأميركي هذه المرة لمصلحة فعلٍ عسكريٍّ؛ ردًّا على قتل الصحافيين والموظفين الإغاثيين، وإن كان الرأي العامّ نفسه قد حصر ذلك في هجمات عبْر الجوّ في كلٍّ من سورية والعراق، من دون تورط عسكري برِّي فيهما[6].

[6] Dan Balz & Peyton Craighill, "Poll: Public supports strikes in Iraq, Syria; Obama's ratings hover near his all-time lows", *The Washington Post*, 9/ 9/ 2014, at: http://www.washingtonpost.com/politics/poll-public-supports-strikes-in-iraq-syria-obamas-ratings-hover-near-his-all-time-lows/2014/09/08/69c164d8-3789-11e4-8601-97ba88884ffd_story.html; Mark Preston, "Poll: Americans back airstrikes, but oppose use of U.S. troops in Iraq, Syria", *CNN*, 29/ 9/ 2014, at:

كان من اللافت للنظر تحوُّل لغة أوباما من لغة الديبلوماسية والتركيز على فتح صفحة جديدة في العلاقة بالعالم الإسلامي، كما جاء في خطابه بالقاهرة، في حزيران/ يونيو 2009، إلى لغة الحرب والتهديد والوعيد مع تدشينه الحرب ضدّ داعش، وهو ما دفع الإعلام الأميركي ومحلِّلين سياسيين كثيرين إلى عقْد مقارنات تبيِّن أوجه الشبه ما بين مفردات خطاب أوباما الأخير ومفردات خطابات سلفه جورج بوش[7]، وهي مقارنات لا تعجب أوباما ولا أنصاره.

إستراتيجية حرب ملتبسة

وجد أوباما المتردد نفسه مضطرًّا إلى تحديد إستراتيجية لمحاربة داعش، وهو الذي كان قد قال قبل أسابيع قليلة إنّ إدارته لا تملك إستراتيجيةً لمحاربته[8]، بل وصل به الأمر قبل أشهر إلى أن يستهزئ به وبقدراته، مشبِّها إيَّاه بفريق كرة سلة من الهواة[9]، ولكنه أهمل ذلك كلّه في خطابه الموجَّه إلى الشعب الأميركي، يوم 10/ 9/ 2014، وأعلن إستراتيجيةً للحرب من أربع نقاط[10]، هي:

- ضربات جوية منظمة ومتواصلة ضدّ داعش في العراق (بهدف إضعافه ثمّ تدميره لاحقًا)، وفي سورية (بهدف إضعاف قدراته)؛ لإفساح المجال أمام القوات العراقية والكردية، فضلًا عن قوات

http://www.cnn.com/2014/09/29/politics/poll-americans-back-airstrikes

[7] Michael Hausam, "Compare the Tough-Sounding Line in Obama's Speech on ISIS to a Famous Phrase by George W. Bush", *IJReview*, 17/ 9/ 2014, at: http://www.ijreview.com/2014/09/177243-obama-just-channel-inner-gw-bush-sell-isis-speech; Melissa Clyne, "Obama Channeling George W. Bush in UN Speech", *NewsMax*, 28/ 10 /2014, at: http://www.newsmax.com/Newsfront/George-WBush-Obama-UN-Speech-ISIS/2014/09/25/id/596812

[8] Justin Sink, 'We don't have a strategy yet', *The Hill*, 28/ 8/ 2014, at: http://thehill.com/homenews/administration/216205-we-dont-have-a-strategy-yet

[9] Daveed Gartenstein-Ross, "Obama's Kobe Bryant-Al Qaeda Flap", *The Daily Beast*, 22/ 1/ 2014, at: http://www.thedailybeast.com/articles/2014/01/22/obama-s-kobe-bryant-al-qaeda-flap.html

[10] "Statement by the President on ISIL", The White House, Office of the Press Secretary, 10/ 9/ 2014, at: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2014/09/10/statement-president-isil-1

"المعارضة السورية المعتدلة" في سورية للتقدم ضدّه على الأرض.

- زيادة المساعدات الأميركية العسكرية لتلك القوات التي تقاتل على الأرض، وإرسال 1600 عسكري أميركي ليقوموا في العراق – بدلًا من الدور القتالي – بدور استشاري، واستخباري، ولوجستي، وتوجيهي، وتدريبي.
- استمرار التعاون مع الحلفاء في سياسة "مكافحة الإرهاب"، وقطْع تمويله، وإضعاف قدرته على التجنيد والتحشيد الفكري.
- استمرار التعاون مع الحلفاء، أيضًا، في تقديم المساعدات الإنسانية لضحايا "المنظمات الإرهابية".

من خلال خطاب باراك أوباما يمكن أن نلاحظ مسائل ثلاث، هي:

- إصرار أوباما في خطابه على ألَّا يُرسل قوات أميركيةً بريَّةً إلى العراق وسورية، وهو المعنى نفسه الذي سيعيد تأكيده في خطابه أمام الدورة التاسعة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة؛ إذ قال: "إننا لا نعمل وحدنا في هذا المسعى، كما أننا لا نعتزم إرسال قوات أميركية لاحتلال أراضٍ أجنبية. عوضًا من ذلك، سنساند العراقيين والسوريين الذين يقاتلون لاستعادة ديارهم، وسنستخدم قوتنا وطاقتنا العسكرية الضخمة في حملة ضربات جوية لردِّ داعش على أعقابه، وسنقوم بتدريب القوات التي تحارب هؤلاء الإرهابيين في الميدان وتزويدها بالعتاد، كما أنَّنا سنسعى لقطْع مصادر تمويلهم، ووقف تدفُّق المقاتلين إلى المنطقة ومنها. وحتى الآن عرضَتْ أكثر من أربعين دولة الانضمام إلى هذا التحالف"[11].
- هذه الحرب، بحسب رؤية أوباما، تدخُل في سياق "الحرب على الإرهاب"، وهي في نظره ليست

[11] "Remarks by President Obama in Address to the United Nations General Assembly", The White House, Office of the Press Secretary, 24/ 9/ 2014, at: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2014/09/24/remarks-president-obama-address-united-nations-general-assembly

حربًا بالمفهوم التقليدي للكلمة. وهذا ما أعاد تأكيده في خطابه السابق أمام الأمم المتحدة بقوله: "لقد قلت بوضوح إنّ أميركا لن تبنيَ كامل سياستها الخارجية المتعلقة بالرد على الإرهاب. ولقد قمنا، بدلًا من ذلك، بشنِّ حملة مركَّزة ضدّ تنظيم القاعدة والتنظيمات المرتبطة به وتصفية قادتهم، وحرمانهم الملاذات الآمنة التي يعتمدون عليها"[12].

- توسعة أوباما نطاق ضربات طائراته العسكرية، لتشمل مواقع داعش في سورية، طلبه 500 مليون دولار من الكونغرس لتدريب مقاتلي "المعارضة المعتدلة"[13] وتسليحهم، وهو الأمر الذي أقرَّه الكونغرس لاحقًا[14].

كانت النقطة الثالثة هي العنصر الجديد في إستراتيجية أوباما، كما أنها أظهرت مدى الارتباك في مقاربته؛ فهو نفسه قد عارض نحو ثلاث سنوات تسليح "المعارضة السورية المعتدلة"، وذلك على الرغم من توصية وزيرة خارجيته السابقة هيلاري كلينتون بذلك، ووزير دفاعه السابق ليون بانيتا، ورئيس الاستخبارات الأميركية السابق الجنرال ديفيد بتريوس أيضًا[15]. بل إنّ وزير خارجيته، جون كيري، يقفُ موقفَ سابقه نفسه[16].

غير أنّ أوباما رفض تلك التوصيات، ووصل به الأمر، قبل أسابيع، إلى حدّ الحديث عن أنّ قدرة مقاتلي المعارضة السورية الذين هم "مجموعة من الأطباء والمزارعين والصيادلة السابقين.. إلخ"، على هزيمة نظام

---

[12] Ibid.

[13] "Statement by the President…".

[14] Lisa Mascaro & Michael Memoli, "House approves Obama's plan to help Syrian rebels fight Islamic State", *LA Times*, 17/ 9/ 2014, at: http://www.latimes.com/world/middleeast/la-fg-congress-isis-20140918-story.html

[15] Michael Gordon & Mark Landler, "Senate Hearing Draws Out a Rift in U.S. Policy on Syria", *The New York Times*, 7/ 2/ 2013. at: http://www.nytimes.com/2013/02/08/us/politics/panetta-speaks-to-senate-panel-on-benghazi-attack.html?pagewanted=all&_r=0;

Jon Swaine, "Leon Panetta supports Hillary Clinton plan to arm Syrian rebels", *The Telegraph*, 7/ 2/ 2013, at:

http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/9856382/Leon-Panetta-supports-Hillary-Clinton-plan-to-arm-Syrian-rebels.html

[16] "في غمرة البحث عن خيارات في سوريا.. أميركا تعزف عن اللجوء للقوة"، **رويترز**، 19/ 2/ 2014، على الرابط:

http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAEA1I05920140219

الأسد، لو توافر لهم التدريب والتسليح الفعَّال، أمرٌ مبالغٌ فيه وطوباويٌّ[17]. وها هو، مرةً أخرى، عاد ليناقض مواقفه السابقة من دون أن يكلِّف نفسه عناء أيِّ تعليلٍ، إلَّا إذا أخذنا في الحسبان أنّ المعطيات على الأرض قد تغيرت بعد تقدُّم داعش[18]. فعلى الرّغم من أنّ هذا التنظيم كان دائمًا موجودًا، خصوصًا في سورية، فإنّ أوباما كان يُصرّ على التقليل من شأنه، مع ضرورة الإشارة في هذا السياق إلى أنّ إدارة أوباما لا تملك إستراتيجيةً واضحةً في سوريةً؛ فليس لها حلفاء على الأرض – كما تقول – يمكن الركون إليهم، كما أنها مازالت ترفض تسليح معارضتها بأسلحة متطورة، خصوصًا صواريخ أرض – جو، وذلك على عكس العراق، وهو ما يزيد المشهد في سورية تعقيدًا.

تدخل قوات برية بين خيار النفي والإمكان والحتمية

تتوافق تأكيدات أوباما السابقة المتعلّقة بأنه لن يبعث قوات أميركيةً برِّيةً إلى ساحتي الصراع في سورية والعراق، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، مع التزامٍ مركزيٍّ له منذ وصوله إلى الرئاسة بأنْ يكون الرئيس الذي يُنهي الحروب، وليس الرئيس الذي يبدؤُها؛ إذ ينبغي، بحسب رأيه، أن تنحسر موجة الحروب[19]. وفي خطابه في شهر أيار/ مايو الماضي أمام دفعة من خريجي أكاديمية ويست بوينت العسكرية، قال أوباما: "أنتم أوّل دفعة من الخريجين منذ 11/ 9 التي ربما لا تُرسل للقتال في العراق وأفغانستان"[20].

فهل تصمد وعود أوباما هذه في مواجهة الحقائق الصعبة على الأرض؟

---

[17] Thomas Friedman, "Obama on the World", *The New York Times*, 8/ 8/ 2014, at: http://www.nytimes.com/2014/08/09/opinion/president-obama-thomas-l-friedman-iraq-and-world-affairs.html?_r=1

[18] Warren Strobel, "Obama shifts on Syrian rebels, but is it too late?", *Reuters*, 10/ 9/ 2014, at: http://www.reuters.com/article/2014/09/10/us-iraq-crisis-obama-rebels-idUSKBN0H52K720140910

[19] "Remarks by the President on the Way Forward in Afghanistan", The White House, Office of the Press Secretary, 22/ 6/ 2011, at: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2011/06/22/remarks-president-way-forward-afghanistan

[20] "Remarks by the President at the United States Military…".

لقد بدأت الضربات الجوية الأميركية والحليفة في العراق منذ الثامن من آب/ أغسطس 2014، إلا أنّ ذلك لم يوقف تقدُّم داعش في محافظة الأنبار وسيطرته على بعض مُدنها مثل مدينة هيت، في وقتٍ يضيِّق فيه الخناق أكثر فأكثر على عاصمتها الرمادي، كما أنه مازال يتقدم، ولو ببطء، نحو مطار بغداد، والعاصمة نفسها. ونجده الأمر نفسه في سورية. فعلى الرغم من أنّ الضربات الجوية الأميركية وضربات حلفائها، بدأت في الثالث والعشرين من شهر أيلول/ سبتمبر الماضي، فإنّ ذلك لم يمنع داعش من تحقيق مزيد من التقدم نحو البلدة الكردية السورية، عين العرب "كوباني"، على الحدود مع تركيا.

وأمّا بالنسبة إلى أوباما وإدارته، فإنهما مازالَا يُصرَّان على عدم نشْر قوات أميركية برِّية في الدولتين. فالقضية، بحسب أوباما، "ليست أميركا ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام [بل هي] أنّ أميركا تقود المجتمع الدولي لمساعدة دولة لنا معها شراكة أمنية، للتأكد من القدرة على التصدي لهذا التنظيم"[21]. ويذهب نائب أوباما، جو بايدن، إلى وجهة النظر نفسها؛ وذلك من خلال قوله: "الآن لدينا تحالف. وعلى الرغم من ذلك، ستكون معركة طويلة وصعبة. لكن لا يمكننا خوض هذه المعركة وحدَنا حتى لو أردنا ذلك. لا يمكن أن تصبح هذه الحرب حربًا برِّيةً أميركيةً ضدّ دولة عربية أخرى في الشرق الأوسط" (...) إنّ إضعافهم [أي داعش] لا يعتمد على نشر متقطع لمئات الآلاف من الجنود على الأرض. هذه الحملة ضدّ العنف المتطرف تعود إلى ما قبل إدارتنا وستستمر بعد إدارتنا[22].

[21] "Remarks by President Obama…".

[22] Scott Malone, "U.S., allies face 'long fight' against Islamic State, Biden says?", *Reuters*, 2/ 10/ 2014, at: http://www.reuters.com/article/2014/10/03/us-mideast-crisis-usa-biden-idUSKCN0HS01I20141003

انتكاسات متوقعة

يكمن منطق إدارة أوباما لتفادي السؤال المحرج المتعلق بضرورة إرسال قوات أميركية إلى كلٍّ من العراق وسورية، في حال عدم استفادة حلفائها العراقيين والسوريين (من الأكراد تحديدًا) من الضربات الجوية لداعش، في أنّ هذه الحرب طويلة الأمد، وأنه ستكون "أيام للتقدم"، كما أنه ستكون "فترات من الانتكاسات"[23]. بل إنّ وزير الخارجية الأميركي جون كيري، يرى أنّ سقوط كوباني لن يكون بمنزلة "هزيمة إستراتيجية للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة"[24]. في حين يقول الناطق باسم وزارة الدفاع الأميركية الأميرال جون كيربي، إنّ "الضربات الجوية وحدها لن تنقِذ مدينة كوباني، ونحن نعرف هذا"[25]. ومرةً أخرى، ترى الإدارة الأميركية أنّ النصر في هذه الحرب الطويلة سيكون حليف الولايات المتحدة وحلفائها.

غير أنّ لغة الثقة التي تتحدث بها إدارة أوباما عن حتمية النصر من دون قوات برّية، وتحديدًا أميركية، لا تجد لها تأييدًا على الأرض. ويُرجع المسؤولون الأميركيون عجز الجيش العراقي، حتى الآن، عن صدّ داعش والاستفادة من الضربات الجوية الموجهة إليه، إلى الفساد والمحسوبية والسياسات الطائفية التي أضعفته خلال فترة حُكم المالكي[26]. وعلى الرّغم من تشكيل حكومة جديدة في العراق، فإنها لم تنجح بعدُ في كسْب ودِّ العرب السنَّة الذين مازالوا يشكُّون في التحالف الشيعي الذي يقودها، فضلًا عن

---

[23] "Remarks by the President After Meeting with Chiefs of Defense", The White House, Office of the Press Secretary, 14/ 10/ 2014, at: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2014/10/14/remarks-president-after-meeting-chiefs-defense

[24] David Stout, "Kerry Says Kobani's Fate Is Not Key to U.S. Strategy in Fighting ISIS", *Time*, 13/ 10/ 2014, at:
https://time.com/3501387/kerry-isis-kobani-kurds

[25] Holly Yan, Josh Levs & Elise Labott, "U.S. military: Airstrikes against ISIS won't save key city of Kobani", *CNN*, 9/ 10/ 2014, at:
http://www.cnn.com/2014/10/08/world/meast/isis-threat

[26] Kristina Wong, "Top Army general: Ground troops needed to defeat ISIS militants", *The Hill*, 17/ 9/ 2014, at:
http://thehill.com/policy/defense/218033-army-chief-ground-troops-needed-to-beat-isis

أنّ هذه الحكومة لم تتمكن بعد من إصلاح المشكلات الهيكلية التي يعانيها الجيش العراقي الذي تمَّ تفريغه من كفاءاته القيادية أثناء حكومة المالكي، بناءً على حسابات طائفية وولائية.

أمَّا في سورية، فإنّ الوضع أشد تعقيدًا؛ إذ إنّ الإدارة الأميركية ترفض التنسيق مع نظام الرئيس بشار الأسد لأنها ترى أنه فاقد للشرعية. وفي المقابل تقول إنه لا توجد حتى الآن "قوَّة على الأرض في سورية نستطيع العمل معها"[27]. ولحلّ هذه المعضلة، فإنّ الإدارة الأميركية بدأت بمرحلة الإعداد لتدريب خمسة آلاف مقاتل سوري في المملكة العربية السعودية، ممَّن "تمّ فحص خلفياتهم على نحوٍ ملائم"[28].

وعلى الرغم من ذلك، تعترف الإدارة الأميركية بأنّ ذلك الجهد غير كافٍ لأسباب عديدة؛ منها أنّ عملية تجميع خمسة آلاف مقاتل وفَرْزهم وفَحْص خلفياتهم ستتطلب أشهرًا، وأنّ تدريبهم سيستمر نحو عام، وربما أكثر[29]، وأنّ خمسة آلاف مقاتل فقط، بحسب رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة، الجنرال مارتن ديمبسي، لا يمكنهم أن يفُوا بالمهمَّة؛ ذلك أنّ هذه المهمّة تحتاج إلى ما بين 12 و15 ألف مقاتل من قوات المعارضة لاستعادة المناطق التي سيطر عليها داعش في شرق سورية[30]، مع الأخذ في

---

[27] Kate Brannen, "Pentagon: We Can't Rule Out Kobani Falling to the Islamic State", *Foreign Policy*, 8/ 10/ 2014, at: http://complex.foreignpolicy.com/posts/2014/10/08/pentagon_cant_rule_out_kobani_falling_to_Islamic_state_syria_iraq

[28] Marco Cáceres, "US Will Back the 'Appropriately Vetted' in Syria. Huh?", *The Huffington Post*, 15/ 9/ 2014, at: http://www.huffingtonpost.com/marco-caceres/us-will-back-the-appropri_b_5822830.html

[29] Anna Mulrine, "Fight against Islamic State: what Pentagon officials say are challenges ahead?", *The Christian Science Monitor,* 26/ 9/ 2014, at: http://www.csmonitor.com/USA/Military/2014/0926/Fight-against-Islamic-State-what-Pentagon-officials-say-are-challenges-ahead-video

[30] Jim Garamone, "Anti-ISIL Campaign Will Take Time, Dempsey Says", *U.S. Department of Defense*, 26/ 9/ 2014, at: http://www.defense.gov/news/newsarticle.aspx?id=123274;
Phil Stewart & Missy Ryan, "Up to 15,000 Syrian rebels needed to retake eastern Syria -U.S. military", *Reuters*, 26/ 9/ 2014, at: http://www.reuters.com/article/2014/09/26/us-mideast-crisis-usa-rebels-idUSKCN0HL24E20140926

الحسبان أنّ تدريبهم سيستغرق ما بين عامين وثلاثة أعوام[31]. وإنّ الأمر الأشدّ تعقيدًا، بحسب ديمبسي، أنّ هذه الجهد لن يُكتب له النجاح مادامت المعارضة السورية التي يدعمها الغرب لا تستطيع تطوير "هيكل سياسي" يجمع شعثهم، فهذا "سيستغرق بعض الوقت"[32].

تباين بين المؤسستين السياسية والعسكرية

يُضاف إلى التعقيدات المذكورة سابقًا، عجز الإدارة الأميركية عن إقناع أيّ حليف من حلفائها العرب أو الأتراك، بالمساهمة في قوات برِّية، على الأقل حتى الآن، وتحديدًا في شرق سورية. فقد بدا من الواضح أن ثمَّة تباينًا في المواقف بين المؤسستين السياسية والعسكرية الأميركيتين. وقد استدعى هذا الأمر نقاشًا أميركيًّا حادًّا مداره على السؤال: هل كانت إدارة أوباما تُقدِّم حساباتها السياسية وإرث أوباما الرئاسي على التقديرات العسكرية، خصوصًا أنّ أوباما نفسه أعلن، كما سلفت الإشارة إلى ذلك، أنّ هذه الحرب ستكون طويلةً، وأنّه لمَّح إلى أنها قد تمتدّ إلى سنواتٍ مقبلة؛ أيْ إلى ما بعد انتهاء فترته الرئاسية الثانية والأخيرة أواخر عام 2016؟

كانت أولى ملامح هذا التباين في شهادة الجنرال ديمبسي، في السادس عشر من شهر أيلول/ سبتمبر 2014، أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأميركي، وذلك حين أشار إلى أنه سُيبقي خيار إرسال قوات عسكرية أميركية برِّية إلى العراق مفتوحًا بحسب تطورات الأوضاع على الأرض. وطرح ديمبسي سيناريوهات قد تستلزم قوات أميركيةً على الأرض، منها مصاحبة قوات أميركية لقوات عراقية في حالة شنّ هجوم مُعقَّد؛ كأن يكون معركةً لاستعادة مدينة الموصل من مقاتلي داعش. وقال "من المحتمل جدًّا أن يكون جزء من تلك المهمّة تقديم المشورة في القتال المتلاحم أو المصاحبة في تلك المهمة. ولكن في ما يتعلق بالنشاط اليومي الذي أتوقع أن يتطور بمرور الوقت، فلا أرى أنّ

[31] Stewart & Ryan, "Up to 15,000 Syrian rebels…".

[32] Ibid.

ذلك ضروري في الوقت الحالي[33].

لم يتأخر ردُّ الرئيس أوباما؛ ففي اليوم التالي لشهادة ديمبسي، أكَّد في قاعدة ماكديل الجوية في تامبا بولاية فلوريدا، تعهُّده بأنه لن يرسل قوات برِّيةً للقتال في العراق قائلًا: "بصفتي قائدكم الأعلى لن ألزمكم وباقي قواتنا المسلحة بالقتال في حرب برِّية أخرى في العراق"[34]. غير أنّ ديمبسي أكَّد مرتين أخريين أنَّه قد يوصي بقوات برِّية إذا تطلب الأمر ذلك، مؤكدًا أنّ نَشْر عناصر عسكرية أميركية في مواقع متقدمة من ساحات القتال قد يكون ضروريًّا لتوجيه الضربات الجوية الأميركية[35].

ويرى ناقدو إستراتيجية أوباما، على غرار وزير دفاعه السابق روبرت غيتس، أنّ أوباما بتكرار حديثه عن رفضه إرسال قوات برِّية أميركية، يحشر نفسه في الزاوية. ويقول غيتس "ينبغي أن تكون هناك قوات برِّية على الأرض إذا كان ثمَّة أملُ نجاحٍ في هذه الإستراتيجية. وأعتقد أنّ الرئيس من خلال مواصلته تكرار ذلك [رفضه إرسال قوات برِّية] يوقع نفسه في فخّ"[36].

---

[33] Craig Whitlock, “Dempsey raises possibility of involving U.S. combat troops in fight against Islamic State”, *The Washington Post*, 16/ 9/ 2014, at: http://bit.do/TLcL

[34] جيف ماسون، "أوباما يتعهد بألا تخوض أمريكا حربًا برية أخرى في العراق"، **رويترز**، 17/ 9/ 2014، على الرابط:
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN0HC1VI20140917

[35] Pete Kasperowicz, “Dempsey again raises possibility of U.S. ground troops fighting Islamic State”, *The Blaze*, 26/ 9/ 2014, at:
http://www.theblaze.com/blog/2014/09/26/dempsey-again-raises-possibility-of-u-s-ground-troops-fighting-islamic-state;
“Obama advisers appear at odds over US troop role, as ISIS holds ground”, *Fox News*, 13/ 10/ 2014, at: http://www.foxnews.com/politics/2014/10/13/obama-advisers-appear-at-odds-over-us-troop-role-as-isis-holds-ground

[36] Missy Ryan & Phil Stewart, “U.S. military struggles to preserve options in Islamic State fight”, *Reuters*, 21/ 9/ 2014, at: http://www.reuters.com/article/2014/09/21/us-usa-iraq-military-idUSKBN0HG0RZ20140921

"أباتشي".. خطوة في اتجاه نشر قوات برية؟

في سياق المؤشرات المتتالية الدالة على أنّ الضربات الجوية وحدها، لن تنجح في قلْب المعادلة على الأرض في كلٍّ من العراق وسورية، أعلنت وزارة الدفاع الأميركية، في السابع من شهر تشرين الأول/ أكتوبر 2014، أنّ طائرات هليكوبتر من طراز أباتشي استُخدمت في الرابع والخامس من الشهر نفسه، في إقليم الأنبار العراقي، ضدّ قوات من داعش كانت تتقدم في اتجاه مدينة الفلوجة بهدف السيطرة عليها. وعلى الرغم من أنّ هذه الطائرات تطير على علوٍّ منخفض، مقارنةً بالطائرات الحربية؛ ما يجعلها عرضةً لصواريخ أرض – جوّ التي قد يكون داعش يمتلكها، فإنّ وزارة الدفاع قالت إنّ استخدام تلك الطائرات كان ضروريًّا، وذلك لأنّ القوات العراقية كانت خلال المعارك قريبةً من قوات داعش، فضلًا عن أنّ هجمات هذه الطائرات أكثر دقةً وفاعليةً بسبب تحليقها على علوٍّ منخفض[37].

غير أنّ استخدام هذا النوع من الطائرات، أعاد تسليط الأضواء مرّةً أخرى على حقيقة الحاجة إلى قوات برّية قد تضطر الولايات المتحدة إلى إرسالها يومًا ما، فمثل هذه الطائرات عادةً ما يجرى استخدامها في الحروب البرّية. وعلى الرغم من أنّ الولايات المتحدة تقول إنّها دعمت قوات برّيةً عراقيةً بتلك الطائرات، فإنها في الوقت نفسه تقول إنّها لا تثق بقدراتها. وبحسب ديمبسي، فإنّ "تنظيم الدولة عدوّ يتعلم من أخطائه، ومقاتلوه بدؤُوا يعرفون كيفية المناورة والتخفّي وسط السكان (...) وأصبحوا أكثر مهارةً في استخدام الأجهزة الإلكترونية، ولم يعودوا يرفعون أعلامهم أو يتنقلون في أرتال طويلة، أو يقيمون مقارّ قيادة يمكن رؤيتها وتحديدها"[38]. ولعلّ مثل هذا التحليل يوضح حقيقة الحاجة إلى طائرات الأباتشي في تلك الحالة، وربما في حالات أخرى لاحقة؛ فالهجمات الجوية التي تكون بطائرات مقاتلة نفاثة تحلّق على ارتفاع عالٍ، والتي تكون من دون قوات على الأرض قريبة من الأهداف، لا تحقّق نتائج على النحو المطلوب.

---

[37] Barbara Starr, "U.S. using Apache helicopters against ISIS in Iraq, defense official says", *CNN*, 7/ 10/ 2014, at: http://www.cnn.com/2014/10/06/us/isis-apache-helicopters

[38] "أوباما: هزيمة تنظيم الدولة مهمة صعبة لكننا نتقدم"، **الجزيرة**، 9/ 10/ 2014، على الرابط: http://bit.do/TLc2

خاتمة

يرى مسؤولون في الإدارة الأميركية أنّ هذه الجولة الجديدة من الحرب سوف تمتد إلى ما بعد رئاسة أوباما أواخر عام 2016، بل إنّ ثمّة من يرى أنّها قد تمتد إلى أكثر من ثلاثين عامًا (وزير الدفاع السابق ليون بانيتا مثلًا)، وأنها ستتوسع لتشمل نيجيريا، والصومال، واليمن، وليبيا، إضافةً إلى ساحات أخرى[39]. ولذلك، فإنه يمكن توقُّع أن يُوَرِّث أوباما الرئيسَ المقبل حربًا جديدةً في العالمين العربي والإسلامي، على عكس ما كان يريده، أو يقوله. ولكن حتى إن بقيَ أوباما وفيًّا لتعهده المتمثِّل بعدم إرسال قوات برِّية إلى ساحات الصراع المختلفة، فإنّ خلَفه قد يُقدم على ذلك.

بل إنّ رئيس مجلس النواب، الجمهوري، جون بينر، يُصِرُّ على أنه لا بدّ من قوات أميركية على الأرض لمحاربة داعش؛ إذ يقول إنّ هذا الأمر حتمي "لا خيار لنا غيره"، وإنّ عمل الضربات الجوية، وتدريب الجيش العراقي، والمعارضة السورية "المعتدلة" وتسليحهما، على غير النحو المطلوب[40].

وعلى الرغم من أنّ أغلبيّة الأميركيين تُعارض إرسال قوات برِّية أميركية مرَّةً أخرى إلى العالمين العربي والإسلامي، وتؤيِّد الضربات الجوية الموجَّهة إلى داعش، فإنّها ترى أنّ الولايات المتحدة ستضطر في النهاية إلى إرسال قوات برِّية لمحاربته. فبحسب استطلاع للرأي أجرته "سي إن إن" و"أو آر سي"، في ما بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين من شهر أيلول/ سبتمبر 2014، فإنّ 36% من الأميركيين يرون أنه من المحتمل أن ترسل الولايات المتحدة قوات برِّيةً. في حين يرى 39% آخرون أنّ ذلك محتمل إلى حدّ ما[41].

يبدو أنّ الولايات المتحدة، في منتصف إدارة أوباما الثانية، قد انساقت إلى صراع جديد في منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما يجعل الرئيس الذي فخَر يومًا ما بأنّ عهده سيُنهي الحروب كلّها، يتحول إلى رئيس حرب بامتياز، ولكنه متردد، مهما جادل في ذلك.

---

[39] Panetta, "30-year war' and a leadership test for Obama", *USA TODAY*, 6/ 10/ 2014, at: http://www.usatoday.com/story/news/politics/2014/10/06/leon-panetta-memoir-worthy-fights/16737615

[40] Mark Preston, "Poll: Americans back airstrikes, but oppose use of U.S. troops in Iraq, Syria", *CNN*, 29/ 9/ 2014, at: http://www.cnn.com/2014/09/29/politics/poll-americans-back-airstrikes

[41] Ibid.